



يقول أحد شباب حمص: اشتد القصف على منطقتنا، وصار الخروج من المنزل يعني وجود احتمال كبير للإصابة بصاروخ أو طلقة بندقية تأتي من هنا أو هناك، وبين أنا حائر في أمري، إذ بأحد الأصدقاء يسرع إليّ ويقول:

يجب أن تغادر الآن، وأحمل معك ما تحتاج إليه، لكنه أضاف إلى شعوري بالمرارة شعوراً أشد مرارة، حين قال: ربما تعود ذات يوم، ولا تجد المنزل، فالجند في انتظار خروجنا ليدخلوا، ويسرقونه ولربما قصوه، فاحمل معك شيئاً عزيزاً عليك، وتأسف لفقدانه.

في هذه اللحظة مرت على خيالي السنين العشرون التي سلختها من عمري في الكدح تحت الشمس في بناء البيت وفرشه، وهنا بادرني صديقي بالقول: ماذا حملت من بيتك؟ مددت يدي على شيء واحد أخذته من بيتي فوجدته قد تبلل بدموع لا أعرف مصدرها، كان ذلك الشيء (علاقة المفاتيح) التي كنت أضع فيها مفتاح المنزل، فسألني صاحبي وأين المفتاح؟ قلت له: قد كسروا أعمار شبابنا وقلوب أمهاتنا، ولا أريد أن أمنهم فرصة كسر باب منزلي، فتركت المفتاح هناك على الباب!

هذه قصة واقعية، وليس رمزية، قصة تلخص ما يتعرض له الناس في سورية، فعصابات النظام الأسدية لا تقتل الناس فقط، وإنما تقتل وتعذب وتغتصب وتنهب وتدمير، إنهم لا يريدون كسر إرادة الناس فقط وإنما يديرون إفقارهم وجعلهم في حيرة من أمرهم في كل شؤونهم.

وضع مأساوي تقرص العبارات عن وصفه، وتعجز آلات التصوير عن ملحوظته! ومع هذا فأهل حمص العدية ومعهم كل الثوار الأحرار في طول الوطن وعرضه صابرون محتسبون واثقون بنصر قريب من السميم المجيب. سيأتي اليوم الذي يرى فيه العالم ما تحمله السوريون من عسف وجور وعداب وألم، وسيأتي أفراج الغلبة والتمكين من الرحمن الرحيم، وستصبح الذكريات الأليمة مصدراً للاعتزاز، وسيوضع صاحبنا مفتاح منزله في علاقة المفاتيح من جديد؛

والله غالب على أمره.

المصادر: